

قال ابن املقغ: أما بعد، فإن لكل خملوق حاجة، ولكل حاجة غاية، ولكل غاية سبباً. واهللاً وقت لألمهور أقدارها، وهياً إبل الغايات سببها، وسبب احلاجات ببالغها. فغاية الناس وحاجم صالح املعاش واملغاد، والسبب إبل دركها العقل الصحيح. وأماره صحه العقل اختيار. الأمور بالبصر، وتنفيذ البصر بالعزم. الأدب ينمي العقول وللعقول سجايات وغرائر. أ تقبل الأدب، وبالأدب تنمي العقول وتزكو. فكما أن احلبة املدقونة يف الأرض ال تقدر أن ختلع يبسها وتظهر قواً وتطلع فوق الأرض بزهرًا وريعتها ونضراً ومنائها إال مبعونة املاء الذي يغور إليها يف مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس واملوت وحيدت هلا بإذن اهلا القوة واحلابة، فكذلك سليفة العقل مكنونة يف مغرزاها من القلب: ال قوة هلا وال حياة أ وال منفعة عندها حتت يعتملها الأدب الذي هو مئارها وحيأ ولقاحها. وجل الأدب باملنطق وجل املنطق بالتعلم. ليس منه حرف من حروف متعجمه، وال اسم من أنواعأمسائها إال وهو مروى، متعلم، مأخوذة عن إمام سابق، من كالم أو كتاب. وذلك دليل على أن الناس مل يبتدعوا أصوها ومل يأم علمها إال من قبل العليم احلكيم. فإذا خرج الناس من أن يكون هلم عمل أصيل وأن يقولوا قوالً بديعاً فليعلم الواصفون املخبئون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبر حداً ومرجاناً، فنظمه قالدً ومسوطاً وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، ومجع إبل كل لون شهبه وما يزيده بذلك حسناً، فسمي بذلك صانعاً رقيقاً، وكصاغة الذهب والفضة، صنعوا منها ما يعجب الناس من أحلي والنية، وكالنحل وجدت مئرات أخرجها اهلا طيبة، وسلكت سبال جعلها اهلا ذلالاً، فصار ذلك شفاءً. وطعاماً، وشراباً منسوباً إليها، مذكوراً به أمرها وصنعتها2 الأدب الكبير والأدب الصغير. ابن المقفعمن جرى على لسانه كالم يستحسنه أو يستحسن منه، فال يعجب إعجاب املخترع املبتدع، فإنه إمنا اجتناه كما وصفنا. الاقتداء بالصالحين ومن أخذ كالمأ حسناً إن غريه فتكلم به يف موضعه وعلى وجهه، فال ترين عليه يف ذلك ضؤولة. فإن من أعني على حفظ كالم املصيبني، وهدي لإقتداء بالصالحني، ووفق لأخذ عن احلكماء، وال عليه أن ال يزداد، فقد بلغ الغاية، وليس بناقصه يف رأيه وال غامطه من حقه أن ال يكون هو استحدث ذلك وسبق إليه. فإمنا إحياء العقل الذي يتم به وستحكم خصال سبع: الإيثار. باحلمية، واملبالغة يف الطلب، والتثبيت يف الختبار، والعتياد للخري، وحسن الرعي، والتعهد ملا اختري واعتقد، ووضع ذلك موضعه. قوالً وعمالاً. أما احلمية فإأ تبلغ المرء مبلغ الفضل يف كل شيء من أمر الدنيا والآخرة حني يؤثر مبحيته. فال يكون شيء أمراً وال أحلى عنده منه. وأما الطلب، فإن الناس ال يغنيهم حبهم ما حيبون وهو أهم ما يهونون عن طلبه وابتغائه. وال تدرك هلم بغيتهم ونفاستها يف أنفسهم، دون اجلد والعمل. وأما التثبيت والتخري، فإن الطلب ال ينفع. إال معه. وبه فكم من طالب رشيد وجدته والغني معاً، فاصطفى منه ما الذي منه هرب، وألغى الذي إليه سعى، فإذا كان الطالب حيوي غري ما يريد، وهو ال يشك يف الظفر، فما أحقه بشدة التبيني وحسن الابتغاء! وأما اعتقاد الشيء بعد استبانته، فهو ما يطلب من إحرز الفضل بعد معرفته. وأما احلفظ والتعهد، فهو متام الدرك. ألن الإنسان موكل به النسيان والغفلة: فال بد له، إذا اجتنب صواب قول أو فعل من أن يحفظه. عليه ذهنه. ألوان حاجته. وأما البصر باملوضع، فإمنا تصري املنافع. كلها إبل وضع الأشياء مواضعها، وبنا إبل هذا كله حاجة شديدة. فإنا مل نوضع يف الدنيا موضع غن وخفض ولكن مبوضع فاقه وكد، ولسنا إبل ما ميسك أرماقنا من املأكل واملشرب بأحوج منا إبل ما يشبت. عقولنا من الأدب الذي به تفاوت العقول. وليس غذاء الطعام بأسرع يف نبات اجلسد من غذاء الأبد يف نبات العقل. ولسنا بالكد يف طلب املتاع الذي يلتمس به دفع الضرر والغلبة بأحق منا بالكد يف طلب العلم الذي يلتمس به صالح الدين والدنيا. ما وضع في هذا الكتاب3 الأدب الكبير والأدب الصغير. ابن المقفع وقد وضعت يف هذا الكتاب من كالم الناس املفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقاها وجتلية أبصارها، وإحياء للتفكري وإقامة للتدبري، ودليل على حمامد الأمور ومكارم الخالق إن شاء اهلا! انظر أين تضع نفسك الواصفون أكثر. من العارفين، والعارفون أكثر. من الفاعلني. فلينظر امرؤ أين يضع نفسه. فإن لكل امرئ مل تدخل عليه آفة نصيباً من اللب يعيش به، ال يحب أن له به من الدنيا مثناً. وليس كل ذي نصيب من اللب مبستوجب أن يسمى يف نوي اللباب، وال يوصف بصفام. فمن رام أن جيعل نفسه لذلك اللب والوصف أهالاً، فليأخذ له عتاده وليعد له طول أيامه، وليؤثره على أهوائه. فإنه قد رام أمراً جسيماً ال يصلح على الغفلة، وال يدرك بالعجزه، وال يصري على الأثرة. وليس كسائر أمور الدنيا وسلطاً وماهلا وزينتها الليت قد يدرك منها املتواين ما يفوت الثابر، ويصيب منها العاجز. ما خيطى احلازم. جماع الصواب وجماع الخطأ وليعلم أن على العاقل أموراً إذا ضيعها حكم عليه عقله بمقارنة اجلهار. فعلى العاقل أن يعلم أن الناس مشتركون مستون يف احلب ملا يوافق والبغض ملا يؤذي، وأن هذه مرتلة اتفق عليها احلمقى ألكياس، مث اختلفوا بعدها يف ثالث خصال هن مجاع الصواب ومجاع اخلطأ، وعندهن تفرقت العلماء واجلهال، واحلزمة والعجزه. الباب الأول من ذلك أن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره، فيعلم أن أحق ذلك بالطلب، إن كان مما حيب، وأحقه

بالتقاء، إن كان مما يكره، أطواله وأدومه وأبقاه، فإذا هو قد أبصر فضل الآخرة على الدنيا، وفضل سرور امرؤة على لذة
 اهلوى، وفضل الرأي اجلام الذي تصلح به الأنفس. وألعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً مث يضمحل، وفضل
 الأكلت على الأكلة والساعات على الساعة. الباب الثاني من ذلك 4 الأدب الكبير والأدب الصغير- ابن المقفعان ينظر فيما يؤثر.
 من ذلك، فيضع الرجاء واخلوف فيه موضعه، فال جيعل اتقاءه لغري املخوف وال رجاءه يف غري املدرك. فيتوقى. عاجل
 اللذات طلباً أجلاً، وحيتمل قريب الأذى توقياً لبعيده. فإذا صار إبل العاقبة، بدا له أن قراره كان تورطاً وأن طلبه كان تنكباً.
 الباب الثالث من ذلك هو تنفيذ البصر بالعزم بعد املعرفة بفضل الذي هو أدوم، وبعد التثبيت يف مواضع الرجاء واخلوف. فإن
 طالب الفضل بغري بصر تائه حريان، ومبصر الفضل بغري عزم ذو زمانة حمروم. محاسبة النفس وعلى العاقل خماصمة نفسه
 وحماسبتها والقضاء عليها والثابة والتكيل. أما احملاسية، فيحاسبها مبا هلا، فإنه ال مال هلا إال أيامها املعدودة البيت ما
 ذهب منها مل يستخلف كما تستخلف النفقة، وما جعل منها يف الباطل مل يرجع إبل اخلق، فيتنبه. هذه احملاسية عند اخلول إذا
 حال، والشهر إذا انقضى، واليوم إذا وبل، فينظر فيما أفن من ذلك، وما كسب لنفسه، وما اكتسب عليها يف أمر الدين وأمر
 الدنيا. فيجمع ذلك يف كتاب فيه إحصاء، وجد، وتذكير لألمور، وتبكيك للنفس وتذليل هلا حست تعترف تذن. وأما اخلصومة،
 فإن من طباع النفس ألمرة بالسوء أن تدعي املعاذير فيما مضى، والألمين فيما بقي، فريد عليها معاذيرها وعلها وشبهها. وأما
 القضاء، فإنه حيكم فيما أرادت من ذلك على السيئة بأ فاضحة مريئة مويقة، وللحسنة بأ زائنة منجية مرحبة. وأما الإثابة
 والتكيل، فإنه يسر نفسه. بتذكر تلك اخلصات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها، ويعاقب نفسه بالتذكر للسيئات والتبشع والقشعرار
 منها واخلزن هلا. فأفضل ذوي الألباب أشدهم لنفسه ذا أخذاً، وأقلهم عنها فيه فترة. ذكر الموت وعلى العاقل أن يذكر املوت يف
 كل يوم وليلة مراراً، ذكراً يباشر به القلوب ويقدح الطماح، فإن يف كثرة ذكر املوت عصمة من الشر، وأماناً بإذن اهلا، من اهلع
 5 الأدب الكبير والأدب الصغير- ابن المقفع إحصاء المساوي وعلى العاقل أن حيصي على نفسه مساويها يف الدين ويف الأخالق
 ويف الأداب، فيجمع ذلك كله يف صدره أو يف كتاب، مث يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصالحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً
 من إصالح اخللة واخللتي واخللال يف اليوم أو اجمعة أو الشهر. فكلما أصلح شيئاً حماه، وكلما نظر إبل حمو استبشر، وكلما
 نظر إبل ثابت اكتاب. الخصال الصالحة وعلى العاقل أن يتفقد حماسن الناس وحيفظها على نفسه، ويتعهدا بذلك مثل الذي
 وصفنا يف إصالح املساوي. وعلى العاقل أن ال خيادن وال يصاحب وال جياور من الناس، ما استطاع، إال ذا فضل يف العلم
 والدين والأخالق فيأخذ عنه، أو موافقاً له. على إصالح ذلك فيؤيد ما عنده، وإن مل يكن له. عليه فضل. فإن اخلصال الصالحة من
 الرب ال حتيا وال تنمي إال باملوافقي واملؤيدين. وليس لذي الفضل قريب وال محيم أقرب إليه ممن وافقه. على صاحل اخلصال
 فزاده وثبته. ولذلك زعم بعض الأولني أن ص حبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب نشأ مع اخلهال. من نسي
 وتهاون خسر وعلى العاقل أن ال حيزن على شيء فاته. من الدنيا أو تول، وأن يرتل ما أصابه من ذلك مث انقطع عنه. مرتلة ما مل
 يصب، ويرتل ما طلب من ذلك مث مل يدركه. مرتلة ما مل يطلب، وال يدع حظه من السرور مبا أقبل منها، وال يبلغن ذلك
 سكرأ وال طغياناً، فإن مع السكر النسيان، ومع الطغيان التهاون، ومن نسي وأون خسر. إيناس ذوي الألباب وعلى العاقل أن
 يؤنس ذوي الألباب بنفسه وجيرئهم عليها حست يصريوا حرساً على مسعه وبصره ورأيه، فيستتيم إبل ذلك ويرح له قلبه، ويعلم أم
 ال يغفلون عنه إذا هو غفل عن نفسه. ساعة عون على الساعات 6 الأدب الكبير والأدب الصغير- ابن المقفع وعلى العاقل، ما مل
 يكن مغلوباً على نفسه، أن ال يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته. إبل ربه، وساعة حيااسب فيها نفسه، وساعة
 يفضي فيها إبل إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن غيوبه ويصونونه يف أمره، وساعة يخلي فيها بني نفسه وبني لذاً مما حيل
 وجيمل، فإن هذه الساعة عون على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة هلا وفضل بلغة. الرغبات الثالث
 وعلى العاقل أن ال يكون راغباً إال يف إحدى ثالث: تزود لمعاد، أو مرممة لمعاش، أو لذة يف غري حمرم. الناس طبقتان متباينتان
 وعلى العاقل أن جيعل الناس طبقتي متباينتي، ويلبس هلم لباسني خمتلفني، فطبقة من العامة يلبس. هلم لباس انقباض وإجناز
 وحتفظ يف كل كلمة وخطوة، وطبقة من اخلصال خيلع. عندهم لباس ويلبس لباس الأنسة واللطف والبذلة واملفاوضة. وال يدخل
 يف هذه الطبقة إال واحداً من الألف وكلهم ذو فضل يف الرأي، وثقة يف املودة، وأمانة يف السر، ووفاء بالحاء. الصغير يصير
 كبيراً وعلى العاقل أن ال يستصغر شيئاً من اخلطأ يف الرأي، والزلل يف العلم، والإغفال يف ألمور، فإنه من استصغر الصغير
 أو شك أن جيمل إليه صغرياً وصغرياً، فإن الصغري كبري. وإمنا هي تلم يتلمها العجز. والتضييع. فإذا مل تسد أو شكت أن تتفجر
 مبا ال يطاق. وممل نر شيئاً قط إال قد أيت من قبل الصغري املتهاون به، قد رأينا املك يوتى من العدو املتقر به، ورأينا الصحة

تؤتى من الداء الذي ال حيفلُ به، ورأينا الأار تنبشوق من اجلدول الذي يستخف به. وأقل الأمور احتمالاً للضياع املك، لأنه ليس شيء يضيع، وإن كان صغيراً، إال اتصل بأخر يكون عظيماً. الرأي والهوى عدوان وعلى العاقل أن جينب عن املضي على الرأي الذي ال جيد عليه موافقاً وإن ظن أنه. على اليقني. وى متعديان، وأن من شأن الناس تسويف الرأي وإسعاف اهلوى، وعلى العاقل أن يعرف أن الرأي واهل 7 الأدب الكبير والأدب الصغير- ابن المقفعيخالف ذلك ويلتمس أن ال يزال هوام مسوفاً ورأيه مسعفاً وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر يف أيهما الصواب. أن ينظر أهوامها عنده، فيحذرهم. علم نفسك قبل تعليم غيرك ومن نصب نفسه للناس إماماً يف الدين، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقوميتها يف السرية والطعمة والرأي واللفظ والأخدان، فيكن تعليمه بسريته أبلغ من تعليمه بلسانه. فإنه كما أن كالم احلكمة يونق. الألمساع، فكذلك عمل احلكمة يروق. العيون والقلوب. ومعلم نفسه ومؤداً أحق بالجالل والتفضيل من معلم الناس ومؤدّم. أعمدة السلطان والية الناس بالء عظيم. وعلى الوايل أربع. خصال هي أعمدة السلطان وأركانها اليت أ يقوم وعليها يثبت: الاجتهاد يف التخري، واملبالغة يف التقدم، والتعهد الشديد، واجلزاء العتيد. فأما التخري للعمال والوزراء فإنه. نظام الأمر ووضع. مؤونة البعيد املنتشر. فإنه. عسى أن يكون بتخريه رجالاً واحداً قد اختار ألفاً. لأنه من كان من العمال خياراً فسيختار. كما اختري. ولعل عمال العامل وعمال عماله يبلغون عدداً كثيراً، فمن تبني التخري فقد أخذ بسبب وثيق، ومن أسس أمره على غري ذلك مل جيد لبنائه قواماً. وأما التقدمي والتوكيد، فإنه ليس كل ذي لب أو ذي أمانة يعرف وجوه الأمور والعمال. ولو كان بذلك عارفاً، مل يكن صاحبه حقيقاً أن يكل ذلك إبل علمه دون توقيفه عليه وتبينه له. والاحتجاج عليه به. وأما التعهد، فإن الوايل إذا فعل ذلك كان مسيعاً بصرياً، وإن العامل إذا فعل ذلك به كان متحصناً حريزاً. وأما اجلزاء فإنه تشببت. احملسن والراحة من املسيء. بماذا يسطاع السلطان ال يسطاع. السلطان إال بالوزراء والعوان، وال ينفع. الوزراء إال باملودة والنصيحة، وال املودة إال مع الرأي والعفاف. وأعمال السلطان كثريّة، وقليل ما تستجمع. اخلصال احملمودة عند أحد، وإمنا الوجه يف ذلك والسبيل 8 الأدب الكبير والأدب الصغير- ابن المقفعالذي به يستقيم العلم أن يكون صاحب السلطان عاملاً بأمور من يريد الاستعانة به وما عند كل رجل من الرأي والغناء، وما فيه من العيوب. فإذا استقر ذلك عنده عن علمه وعلم من يأمتن وجه لكل عمل من قد عرف أن عنده من الرأي والنجدة والأمانة ما يحتاج إليه فيه، وأن ما فيه من العيوب ال يضر بذلك، ويتحفظ من أن يوجه أحداً وجهاً ال يحتاج فيه إبل مروءة، إن كانت عنده، ال يأمن عيوبه وما يكره منه. مث على امللوك، بعد ذلك، تعاهد عماهلم وتفقد أمورهم، حست ال خيفى عليهم إحسان حمسن وال إساءة مسيء. مث عليهم، بعد ذلك، أن ال يتركوا حمسناً بغري جزاء وال يقرؤا مسيناً وال عاجزاً على الإساءة والعجز. فأم إن تركوا ذلك، أون احملسن، واجترأ املسيء، وفسد الأمر، وضاع العمل. الدنيا دول اقتصار. السعي إبقاءً للجمام، ويف بعد اهلمة يكون النصب، ومن سأل فوق قدرته استحق احلرمان، وسوء محل الغن أن يكون عند الفرح مرحاً، وسوء محل الفاقة أن يكون عند الطلب شرهاً، وعار الفقر أهون من عار الغن، واحلاجة مع احملبة خري من الغن مع البغضة. الدنيا دول، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك مل تدفعه بقوتك. المثل أوضح للمنطق إذا جعل الكالم مثلاً، كان ذلك أوضح للمنطق وأبيس